الرضـــح الروحـــي العربـــي ... والقضيـــة الفلسطينيـــة

د. سداد جواد التميمي – الطب النفساني (العراق /إنكلترا)
MB ChB (Baghdad), MD(Wales ,(FRCP, FRCPI, FRCPsych
sudad.jawad@btinternet.com

الجرح غير الرضح ومن يُصاب بجرح ما فهو ينتظر التئام الجرح وشفائه منه. هذا ما يحدث مع الجروح الجسدية التي ينتبه اليها المصاب وينتبهاليها الآخرون

اما الرضح فهو غير ذلك فالشفاء منه لا يعني سوى التكيف معه والمضي قدماً لمواجهة الحياة وتحدياتها

الرضح قد يكون حاداً ويترك آثاره في الإنسان البشري او قد يكون مركبا حيث يتميز بتجارب عدة متكررة يشعر من خلالها الانسان بعدم القدرة على الإفلات منها.

ان تابعنا القضية الفلسطينية منذ عام ١٩٤٨ الى يومنا هذا استنتجنا بان ليس هناك جرحاً فلسطينيا سيتم الشفاء منه وانما هناك رضحاً حاداً بين آونة وأخربورضحاً مركباً وخاصة في حرب غزة الأخيرة التي لا تزال قائمة

لا يوجد من يمد العون الى سكان غزة والمواطن العربي يجد نفسه عاجزاً يتفرج على صدمات الشعب الفلسطيني ولا يوجد حقاً من يستطيع إنقاذ الأبرياء من نيران أسلحة

الجرح غير الرضح ومن يُصاب بجرح ما فهو ينتظر التئام الجرح وشفائه منه. هذا ما يحدث مع الجروح الجسدية التي ينتبه اليها المصاب وينتبهاليها الآخرون. كذلك الحال مع الجرح العاطفي فهو جرح يشفيه الزمان وتقلب الأحوال واحداث المستقبل. اما الرضح فهو غير ذلك فالشفاء منه لا يعني سوى التكيف معه والمضي قدماً لمواجهة الحياة وتحدياتها. الرضح قد يكون حاداً ويترك آثاره في الإنسان البشري او قد يكون مركبا حيث يتميز بتجارب عدة متكررة يشعر من خلالها الانسان بعدم القدرة على الإفلات منها.

التعريف أعلاه للجرح والرضح لا يخفي على أحد, وان تابعنا القضية الفلسطينية منذ عام ١٩٤٨ الى يومنا هذا استنتجنا بان ليس هناك جرحاً فلسطينيا سيتم الشفاء منه وانما هناك رضحاً حاداً بين آونة وأخربورضحاً مركباً وخاصة في حرب غزة الأخيرة التي لا تزال قائمة. لا يوجد من يمد العون الى سكان غزة والمواطن العربي يجد نفسه عاجزاً يتفرج على صدمات الشعب الفلسطيني ولا يوجد حقاً من يستطيع إنقاذ الأبرياء من نيران أسلحة وظيفتها الاولى والأخيرة الفتك بالبشر. من هناك نلاحظ كيف أن هناك رضحاً حاداً ومركباً في نفس الوقت عند التمعن في ما حدث في فلسطين عير التاريخ و ما يزال يحدث في غزة منذ ثلاثة اشهر.

مفهوم الجرح الروحي

مفهوم الجرح الروحي ليس بالحديث, والجرح الروحي حاله حال أي جرح اخر يتماثل للشفاءويصل الانسان الى مرحلة الشفاء مع الشعور بالأمان والغفران. اول إشارة تاريخية لمفهوم الجرح الروحي هي في إلياذة هومر مع الحديث عن معضلة أخيل وجرحه الروحي وربما صورت لنا الام الجرح الروحي الشاعرةلويز كلك في عام ١٩٨٥ حين تتحدث عن أخيل في قصيدتها وتقول:

كيف يمكن لك ان تفهمني؟
وأنت لا تقوى على تفهم نفسك
قوة ذاكرتك ليس كافية
ولا تعود الى الوراء ما فيه الكفاية

كذلك تم تم تصوير الجرح الروحي في العديد من الكتب المقدسة حين تروي التوراة لنا قصة لوط وإبراهيم عليهما السلام وتراه في غاية الروعة والوضوح في القرآن الكريممع الحديث عن الرسول الكريمعند

فتح مكة المكرمة.

حين نتفحص القصيدة أعلاه نرى اليوم بان الكثير من العرب لا يفهمون القضية الفلسطينية ولا يستوعبون ما يحدث لان ذاكرتهم ليس بالقوية ولا تعود الى الوراء بما فيه الكفاية.

بعد هذه المقدمة يمكننا الاستنتاج بان الجرح الفلسطيني ليس بجرحٍسيلتأموانما رضحاً مزمنا مركباً.

من الجرح الى الرضح

لكي نفهم الجرح علينا أولا ان نفهم وجود الانسان في المجتمع. الانسان لا يوجد بمفرده وحتى ان كان معتزلا الاخرين فهو يخضع لإمرة وكالات متعددة. هناك وكالات العمل, والدولة, والتشريعاتوالعقيدة الدينية, وهذه العلاقة بين الوكالة والخاضع لهاتلعب دورها في بناء رواية الانسان الذاتية الخاصة به. لو تفحصنا جيداً المواطن الفلسطيني فستراه خاضعاً لوكالات أكثر بكثير من المواطن العربي غير الفلسطيني, فهناك الأمم المتحدة وإغاثة اللاجئين والجامعة العربية وبالإضافة لذلك لا توجد دولة بكل معنى الكلمة التي تملك كياناً مستقلاً تتحدث نيابة عنه.

الجرح الروحي منمفهوم نفساني بحت ينتج من جراء تجربة شخصية تتناقض مع القواعد التي يتمسك بها الانسان في أعماق ذاته. هذا التناقض مع التجربة يؤدي الى تنافر معرفي وينتج عن ذلك جرح روحي. لو تفحصنا تاريخ القضية الفلسطينية ونزوح الشعب الفلسطيني من ارضه لعجزنا عن إحصاء تلك التجارب التي تتناقض مع القواعد النفسانية المثبتة في أعماق الذات البشرية.

بعد ذلك تبدأ مرحلة أخرى في حياة الانسان الذي تم جرحه روحياً والبداية تفكك روايته الشخصية وسعيه البحث عن رواية شخصية بديلة. لكن الذي يحدث احياناِ هو تكرار التجربة وتدريجيا تتراكم التجارب والنتيجة رضحاً له تأثيرات بيولوجية بالإضافة الى تاثيرات اجتماعية نفسانية يتم توارثها من جيل الى اخر.

يقودنا ذلك الى تعريف الرضح الروحي وتمييزه عن الجرح الروحيويمكن القول بان الرضح الروحي هو التأثيرات الدائمة النفسانية والبيولوجيةوالروحانيةوالسلوكيةوالاجتماعية, من جراء التعرض لانتهاكات وتجاوزات تتناقض مع التوقعات والمعتقداتالشخصية للفرد.

معالجة الجرح الروحي

يكثر الحديث عن الجروح العاطفية ووضعها في إطار اضطراب كرب تالي للرضح والذي يشير اليه الكثير بأحرفه اللاتينية PTSDولكن الحقيقة بان اضطراب كرب تالي للرضح لا علاقة له بالرضح الروحي. كرب تالي للرضح يستند كلياً على مشاعر الخوف في حين ان الرضح الروحي لا يستند على الخوف وانما تتأجج فيه مشاعر لا يقوى الانسان على تحملها مثل الشعور بالهوان والخزيوالعاروالغضب الذي ينتج عن شعوره المزمنبالاستياء. يتم تعريف كرب تالي للرضح كاضطراب نفساني يخضع لتوجيهات تشخيصية وعلاجية في حين ان الرضح الروحي لا يتم تعريفه كاضطراب نفساني. يحتاج علاج كرب تالي للرضح على تعرض الانسان مجدداً بصورة غير مباشرة لذكريات الصدمة التي تعرض لها وبالتالي ابطال مفعولها وتأثيرها على الانسان. اما الجرح الروحي والرضح الروحي فهو بحد ذاته انتهاك لبؤرة المعتقدات الشخصية للإنسان وبالتاليفان التعرض للحدثومراجعة سجل الذكريات لا يساعد وانما قد يؤدي الى مضاعفة الشعور بالألم.

تشير المراجع التي تتحدث عن الجرح الروحي لأعراض يتم حصرها كالاتي:

١ تغيرات سلوكية

وظيفتها الاولى والأخيرة الفتك بالبشر

الكثير من العرب لا يفهمون القضية الفلسطينية ولا يستوعبون ما يحدث لان ذاكرتهم ليس بالقوية ولا تعود الى الوراء بما فيه الكفاية

لو تفحصنا جيداً المواطن الفلسطيني فستراه خاضعاً لوكالات أكثر بكثير من المواطن العربي غير الفلسطيني, فهناك الأمم المتحدة وإغاثة اللاجئين والجامعة العربية وبالإضافة لذلك لا توجد دولة بكل معنى الكلمة التي تملك كياناً مستقلاً تتحدث نيابة عنه.

الجرح الروحي منمفهوم نفساني بحت ينتج من جراء تجربة شخصية تتناقض مع القواعد التي يتمسك بها الانسان في أعماق ذاته. هذا التناقض مع التجربة يؤدي الى تنافر معرفي وينتج عن ذلك جرح روحي

الرضح الروحي هو التأثيرات الدائمة النفسانية والبيولوجيةوالروحانيةوالسلوكيةوالاجتماعية, من جراء التعرض لانتهاكات وتجاوزات تتناقض مع التوقعات والمعتقداتالشخصية للفرد.

يكثر الحديث عن الجروح العاطفية ووضعها في إطار اضطراب كرب تالي للرضح والذي يشير اليه الكثير بأحرفه اللاتينية PTSDولكن الحقيقة بان اضطراب كرب تالي للرضح لا علاقة له بالرضح الروحي

٢ تغيرات أخلاقية

٣ تغيرات ايمانية

٤ فقدان الايمان الروحي

٥الشعور بالذنب

٦الشعور بالخزي والعار

٧ فقدان القدرة على الشعور بالمتعة

٨انزعاج وجداني

٩ فقدان الثقة بالأخرين.

يمكن تعميم هذه الاعراض على الرضح الروحي كذلك ويمكن ان نتصور ولادة التطرف والعنفوالصراعات بين افراد المجموعة. لكن تطبيب مثل هذه التغيرات عملية عقيمة لا خير فيهالان الجرح الروحي والرضح الروحي هو بحد ذاته رد فعل طبيعي لدرجة عالية من التطرف والقسوة. هذا ما حدث ويحدث الى يومنا هذا في فلسطين لان ما تعرض ويتعرض له المواطن الفلسطيني تجاوز حدود المعقول من التطرف والقسوة.

تجاوز الجرح الروحي غالبا ما يتم عند الوصول الى عتبة العفو والمغفرة، ولكن خط نهاية مثل هذا لا وجود له الى الان في القضية الفلسطينية. هناك الدعم المادي والاجتماعي والمعنوي الذي يمكن تقديمه، ولكن هذا بحد ذاته نتائجه غير دائمية. الكثير يشير الى ان خير وسيلة لتجاوز الجرح والرضح الروحي هو التضامن مع مجموعات أخرى ووضع التجربة في إطار جديد. المجموعة المتوفرة للشعب الفلسطيني تتمثل في الأمم العربية المنتمية الى الجامعة العربية والتي تتحدث بلسان واحد وهو اللسان العربي. هذه المجموعة العربية لم تثبت وجودها في الماضي القريب والبعيد بانها قادرة على معالجة الرضح الروحي في أعماق المواطن الفلسطيني، بل وحتى المواطن العربي وهناك درجة عالية من فقدان الثقة بين الطرفين, لكن ذلك لا يمنع من توقف مثل هذا الدعم.

في نهاية الامر ما علينا ان ندركه ان بداية التخلص من الرضح الروحي هو قيام دولة فلسطينية على ارض ينتمي اليها المواطن الفلسطيني ويساندها كل مواطن عربي.

كرب تالي للرضح يستند كلياً على مشاعر الخوف في حين ان الرضح الروحي لا يستند على الخوف وانما تتأجج فيه مشاعر لا يقوى الانسان على تحملها مثل الشعور بالهوان والخزيوالعاروالغضب الذي ينتج عن شعوره المزمنبالاستياء

الجرح الروحي والرضح الروحي فهو بحد ذاته انتهاك لبؤرة المعتقدات الشخصية للإنسان وبالتاليفان التعرض للحدثومراجعة سجل الذكريات لا يساعد وانما قد يؤدي الى مضاعفة الشعور بالألم.

تجاوز الجرح الروحي غالبا ما يتم عندالوصول العتبة العفو والمغفرة، ولكن خط نهاية مثل هذا لا وجود له الى الان في القضية الفلسطينية

الكثير يشير الى ان خير وسيلة لتجاوز الجرح والرضح الروحي هو التضامن مع مجموعات أخرى ووضع التجربة في إطار جديد

إرتباط كامل النص:
http://www.arabpsynet.com/Documents/Doc.Sudad.ArabSpiritualTrauma.pdf

****** ****** ******

شبكة العلوم النفسية العربية

نحو تعاون عربي رقيا بعلوم وطب النفس

الموقع العلمي
http://www.arabpsynet.com/

المتجر الالكتروني
http://www.arabpsyfound.com

الكتاب السنوي 2024 لـ " شبكة العلوم النفسية العربية " (الاصدار الخامس عشر)

الشبكة تدخل عامها 24 من التأسيس و 21على الويب

24 عاما من الكدح... 21 عاما من المنجزات

(التأسيس: 2000/01/01 - على الويب: 2003/06/13)
http://www.arabpsynet.com/Documents/eBArabpsynet.pdf

التحميل من المتجر اللالكتروني
http://www.arabpsyfound.com/index.php?controller=attachment&id_attachment=18
http://arabpsyfound.com/index.php?id_product=296&controller=product&id_lang=3